

## محمد بن سلمان.. صاحب بنك أم قائد دولة؟

عبدالحميد قدس

تحقق قلوب المواطنين حين يُعلن عن زيارة يقوم بها الملك إلى الخارج، سواء كانت للاستراحة أو زيارة عمل. ففي الحالة الأولى، تكون الفضائح، وتكون المصاريف الخرافية، وقد رأينا بعضاً من ذلك، حينما أراد الملك سلمان تمضية اجازته في شاطئ العراة بفرنسا، وبعدها في المغرب، ثم اتجه شرقاً إلى Bali بـأندونيسيا.

لا يتحرك الملك أو ولي العهد إلا بطاقم من الطائرات تحمل معه الخدم والطباخين والمرافقين وعشرين الأمراء والأميرات، فيما تنتظرهم أساطيل من السيارات الخاصة والمستأجرة، وفنادق كثيرة يتم حجزها، وغير ذلك. خلال الزيارة السياحية الملكية غالباً ما تكون هناك طائرات تتنقل يومياً بين الرياض ومحل إقامة الملك، تأتيه أحياناً ببعض الملفات، وفي معظم الأحيان تأتيه بأمور تافهة، تنم عن مرض، وبطر مستطير، مثلما كان يفعل الأمير سلطان (ولي العهد ووزير الدفاع السابق) الذي كانت طائرة جامبو تنقل إليه من الرياض يومياً، حلبي النياق، فتصل المغرب قبل أن يصحو سموه من نوم أهل الكهف!

أما إذا كانت الزيارة الملكية، أي التي يقوم بها الملك أو ولي عهده، رسمية، للقاء قادة دول أخرى، فقلوب المواطنين أيضاً تكاد تنخلع، حيث يتحول الملك أو الأمير إلى (كيس من النقود) متنقل، فيوفق الاتفاقيات ويقدم الهبات بمليارات الدولارات، ويعود أدراجه إلى الرياض، حيث سخط الرعية المكتوم.

حدث هذا في زيارات سلمان، خاصة تلك التي تنقل فيها بين ماليزيا وأندونيسيا والصين واليابان وغيرها. وفي كل محطة، كان الحديث عن مليارات، وأحياناً عشرات المليارات من الدولارات، يُقال أنها صفقات تجارية أو استثمارات أو ما أشبه.

ولأن الولد سرّ أبيه، بل سرّ عائلته، كان محمد بن سلمان في زيارته الأخيرة لمصر، ولندن، وسيكون كذلك في زيارته لواشنطن، الشاب النزق الذي ينثر الأموال ولا يُبالي، وكل ما يحصل عليه: شيء من الترحيب من مضيفيه، مختلط بالإحتقار.

مليارات من الدولارات تم الحديث عنها في زيارته لمصر، قيل أولاً ان هناك استثمارات بعشرة مليارات دولار، نصفها تأتي من مصر، وهذا مجرد كلام، فمصر لا تدفع شيئاً، وليس لديها أموال، وإنما تفترض من البنك الدولي وغيره. ثم جرى الحديث عن ستة عشر مليار دولار، مشاريع مشتركة، وما أشبه، وجاء في وسطها الحديث عن مشروع (نيوم) النائم! الذي لازال حبراً على ورق، شأنه في ذلك شأن المشاريع الأخرى (مشروع البحر الأحمر) ومشروع جسر الملك سلمان، وغيرهما.

وفي بريطانيا، تم توقيع اتفاقيات متعددة، بينها شراء عشرات الطائرات الحربية من طراز (تايفون)، كما تم الاتفاق على عقود لعشرين سنة قادمة بقيمة تسعين مليار دولار فقط! ولا نعلم كم سيدفع ابن سلمان لترامب حين يزوره هذه المرّة، وقد دفع قبل نحو عام ٤٨٠ مليار دولار، كما أن زيارته لباريس غير المؤكدة حتى الآن، ستكلف خزينة الدولة المسعودة الشيء الكثير، خاصة في هذا الظرف الاقتصادي الذي يقولون انه عصيب، والذي وقع عبئه كاملاً على المواطنين على شكل ضرائب، او على شكل منهوبات كما حدث لرجال الأعمال.

دفع بالتالي هي أحسن

من لا يحترم شعبه لا يستحق الإحترام

واحدة من أهم معالم السياسة الخارجية السعودية، هو استخدام المال في شراء ولاءات الدول، وفي شراء الحماية، بحيث ان ملكها اوولي عهدها، يتحرك وكأنه كيس مال متحرك.

لا عيب في استخدام المال في السياسة، ولكن الموضوع في السعودية أصبح مريضاً، بحيث تعود الآخرون على ايتزار آل سعود (خاصة الدول الغربية)، وبحيث تم تعطيل كل إمكانات الدولة في إيجاد مصالح مشتركة غير (الدفع المالي) وكان البلد لا يمكن ان تستقيم الا بدفع الأموال ثمناً للمواقف، حتى ولو كانت تافهة.

هناك اليوم عرف بين الدول، وهو ان السعودية لا تتقن شيئاً في السياسة إلا دفع المال، ولا يمكنها أن

تنجز شيئاً بدون رشى، ولا تستطيع ان تحمي نفسها إلا بالمال والمرتزقة (كما هو الحال في اليمن مع قوات السودان والسنغال وغيرهما). وللأسف انه فوق هذا كله، لا يحصل السعوديون الا على الإحتقار، وحتى الاحتفاء بهم، مدفوع الثمن ابتداءً.

لم تخطئ الدول أياً كان شكلها ان تعاملت مع حكام الرياض بحسبات المال، فال سعود عودوا الآخرين على هذا الأسلوب، وشجعوهم على ابتزازهم، حتى الصحفيين فعلوا ذلك، والأمثلة أكثر من أن تُحصى.

لكن السؤال ماذا يقبض آل سعود مقابل هذه الأموال التي يبعثرونها؟

في الغالب فإن الدول المضيفة هي الرابحة، وأن الزائر الملكي يدفع ويعود الى وطنه سالماً غالباً، وقد طُبّق بحقه شعار (اذا جاءكم البدوي فشلّحوه)!

مالجديد مثلاً في موضوع استثمارات مصر، ومقابل ماذا كان الكلام عن عشرات المليارات من الولايات؟

ماذا قبض ابن سلمان من السيسي؟ او حتى من الإنجليز غير الطائرات الحربية، وبضع تصريحات بريطانية ضد إيران، وتضامن مع الرياض في حربها العدوانية على اليمن؟

عاد والعود غير أحمد

هل ما دفعه ابن سلمان ثمن معقول؟ دعك من الفضائح والتشهير الذي لاحق ولد العهد، والذي وصلت اصداؤه الى كل اركان الدنيا، وسببت انزعاجاً لديه، وهو الذي كان ينتظر حفاوة شعبية الى جانب الحفاوة الرسمية.

لأن ابن سلمان عاد خالي الوفاض، توقفت الحملة الدعائية لزيارته في الصحافة المحلية بمحمد أن عاد، لأن هناك عنصرين كانوا عmad زياراته، وهما سبب أساس في الاحتقان الشعبي، الذي لم يقدر الا القلة في التعبير عنه.

مادامت المملكة تعيش أزمة اقتصادية، كما يرعم ابن سلمان نفسه، ما استدعي هيكلة الاقتصاد، بل وتغييره كلياً، من اقتصاد ريعي الى ضريبي.

وما دامت الدولة تقوم فعلياً بحل الأزمة على حساب المواطن من ناحية الضرائب.

وما دام ابن سلمان قد أوقف معظم مشاريع الدولة بحجة التفتش، ما دفع بالشركات إلى الإفلاس وتسريح موظفيها .

وما دامت رؤيته العميماء لا تستطيع إيجاد حلول لأزمات المواطنين في البطالة والصحة والتعليم والإسكان، في وقت قريب.

وما دام ابن سلمان يتحدث عن بيع أرامكو من أجل استثمار أموالها في مشاريع نفطية أخرى..

وما دام ابن سلمان يدعو الدول الأخرى والشركات إلى أن يستثمروا في السعودية.

فما بال هذا الصبي الأرعن - إذن - يستثمر في الخارج، حسبما هو معلن؟ ولماذا يبعثر أموال المواطنين في شراء ولاءات وفي تغطية سياساته الرعناء كما في اليمن وغيرها؟

هذا الموضوع المالي لا يمكن للصحافة الحديث عنه، او التركيز عليه، كونه يؤجج النقاوة في نفوس المواطنين الذين يصطدرون بضرائب محمد بن سلمان ورؤيته. في حين ان نثر الأموال في الخارج واحدة من أبرز ملامح زيارة أي ملك او ولي عهد!

والموضوع الآخر الذي جعل الصحافة صامتة او غير قادرة على الدفاع عن ولي العهد، هو ان زيارة الأخير، وبسبب ما واجهه من اعلام ودعایة مضادة في بريطانيا، خاصة فيما يتعلق بتجريمته بسبب عدوانه على اليمن، وانتهاكاته لحقوق الانسان في البلاد.. قدّم ابن سلمان تنازلات ليس في الموضوع اليمني، ولا في مجال اطلاق سراح معتقلين الرأي، ولا في موضوع الإصلاحات السياسية، وإنما ركّز على موضوع يعجب الغرب، وهو (تحرير المرأة السعودية)، التي ستقود سيارتها قريباً، والتي سُمح لها بدخول الملاعب الرياضية، كما أنها تتمتع بمشاريع الترفيه التي تعهد بها هيئة الترفيه التي يشرف عليها ابن سلمان نفسه، وغير ذلك.

موضوع المرأة في السعودية جدلية، وان يُستخدم كرسالة للغرب، لتحسين سمعة آل سعود، والقول بأن ولي العهد إصلاحي ومنفتح وليبرالي وغير ذلك، هو أمرٌ مقرز.

لكن ما يستطيع ابن سلمان بيعه في الخارج، لا يمكن تمريره في الداخل.

نعم يستطيع ابن سلمان ان يتحدث عن المرأة وحقوقها لدى مضيفيه الغربيين. ويستطيع ايضاً ان يقدّم المزيد من الوعود في هذا الجانب. لكنه يدرك بأن سياسة حرق المراحل، او ما أسمها هو بأسلوب الصدمة، له آثار كارثية، على النظام نفسه، وعلى النسيج الاجتماعي. فالانتقال من منظومة قيمية الى أخرى، بحاجة الى زمن، والى نقاشات شعبية وثقافية موسعة، والى صواب وتشريعات قانونية، وكلها غير متوفرة، ما يجعل البلاد أشبه ما تكون منفلترة من الناحية الاجتماعية، بغض النظر عن مسألة الحال والحرام.

كان المواطنين يستاؤون من طابور الرؤساء والوزراء الأجانب الذين يتدافعون على الرياض، لأنهم يعلمون – بما يشبه اليقين – أن كل واحدٍ منهم جاء ليستلم حصته او حصّة بلاده من خزينة الدولة المُساعدة. ولكن فاتهم أن الزمن تغيّر، وأصبح مطلوباً من الملك وولي عهده، إضافة الى ذلك، ان يحملوا كيس المال للتوزيع على الدول.

نعم شهدنا ترافق في الرياض، الذي اشترط قبل حضوره ان يحصل على قدرٍ من المليارات، وقد استُجيب له.

ونعم قد جاء رئيس السودان، ليبقي جنوده، ويستلم ثمن جثثهم مقدماً أو مؤخراً لا فرق، وقد كان فيه من الزاهدين.

ونعم قد جاء رؤساء وزراء كثر الى الرياض، إضافة الى مسؤولي جمعيات وأحزاب واعلاميين ومؤسسات إعلامية، والجميع قد (قبص).

وذات العملية تتكرر حين ينطلق الملك او ولي عهده للخارج، فهناك جيوش من المنتفعين تنتظره، من شركات الليموزين، الى أصحاب الفنادق والمطاعم، الى شركات الإعلانات، مروراً بأعضاء البرلمانات، وممثلين وسائل الاعلام، وانتهاءً بأصغر موظف في السفارة السعودية – إن كانت في القاهرة او لندن – حيث يقوم ولي العهد بدفع (الشرفة المالية) لهم، ولمن يأتون من الطلبة او المواطنين المقيمين للسلام عليه (حتى السلام والترحيب مدفوع الثمن)!

هذا كلّه يعطيك انطباعاً أن السعودية أبعد ما تكون عن دولة المؤسسات، او دولة يحكمها قانون يمنع

الubit بخزينتها ومستقبل أجيالها. كل ما تراه مختزلاً في شخص واحد: الملك أو إبنه، بيدهما مقدرات الدولة، يعيشان بها بدون رقابة أو مساءلة، وكأنهما ينفقان من مالهما الخاص، ويتعاطى الإثناان مع المليار دولار، وكأنه مائة!

هل يمكن لعقلية كهذه أن يكون لديها رؤية لحاضر الوطن ومستقبله؟

وهل يمكن لأمراء منفلتي العقال أن يبنوا دولة، أو يحافظوا على ثروة، أو يحترموا حقاً للشعب؟

وهل يحق لنا الشك - مجرد الشك - في رؤية ابن سلمان وتوصيفها بأنها عمياً؟